

بسم الله العلاّم الحكيم

الحمد لله الذي جعل العلم ضياءً للبصائر كما جعل النور ضياءً للنواظر وبعدُ فان خدمة العلم من الفروض التي لا يُعفى منها من اتّسم بشعارهِ ولا يضطلع بها الاّ من جعلها قِبلة عزائمه ومعقِد اوطارهِ فوقف عليها ايامهُ وقصر عليها اهتمامهُ وشدّ لها مئزر الاخلاص فطهّرهُ من شوائب الاغراض وشُبُهات الرئآء وسعى فيها على قدم الثبات فوطئ اليها اعراف العوائق واكتاف العُدَواء

ولا حاجة بنا الى وصف مكان العلم من الجامعة الانسانية وما يتوقف عليهِ من صلاح شؤونها في الحالتين المدنية والسياسية ولا سيما في هذا العصر الذي عمّ فيهِ انتشارهُ وزخر في كل وادٍ تيّارهُ فكان رائد فلاح الامم وسلَّم ارتقآئها بل عنصر حياتها وسبب بقآئها فهو اليوم

ساعد القوّة والقهر وجبهة العزّة والفخر وفي يدهِ اعنّة السياسة عند اربابها ومقاليد الثروة عند طلاّبها واليهِ ينتهي تباين الأُمم في الرفعة والاتّضاع وتفاوُت الدول في السطوة والامتناع وعلى الجملة فهو العامل الذي بطلت في جنبهِ العوامل والمحرّك الذي يقلّب احوال الارض كما يُقلَّب الدرهم بين الانامل

ولقد هبّت ريحهُ على هذا القُطر بعد ما ركدت دهراً طويلا وثابت الهمم فيهِ لتجديد ما اندرس من آثار عزّتهِ الاولى وأذّن فيهِ داعي الفلاح فرنّ صدى صوتهِ في كل ناد وخفّت اليهِ طلائع الاجابة من كل واد حتى اصبح مضماراً لسوابق الافكار وسوابح الاقلام ومعرضاً لودائع الالباب وبضائع الافهام مما حدانا ان ندخل في دهماء ذلك السواد ونرد هذه الشِرعة مع الوُرّاد فانشأنا لذلك مجلتنا المعروفة بالبيان وارصدناها لنشر كل ما تمثلت لنا فيهِ فائدةٌ للاذهان او دُربةٌ للفكر واللسان مما ارتاح اليهِ كل عارفٍ من ذوي الابصار واعترف لهُ كل منصفٍ بالاستحسان والايثار غير انهُ لقَدَرٍ من الاقدار طرأ عليها ما اوجب توقُّفها قبل استيفاء سنتها الاولى ثم عقب ذلك ما ادّى الى اهمالها بتّةً ليقضي الله امراً كان مفعولا وتتابعت الينا بعدها كتب الاخوان تتقاضانا العود الى ذلك المجال واستئناف ما كنا فيهِ من مواصلة الدأب والاشتغال وفي النفس من تلك الخدمة اوطارٌ تنزع الى قضائها وحقوقٌ لم تزل الذمّة مرتَهَنَةً بأدائها فاستخرنا الله في تنبيه الهمة الى معاودة نشاطها وحث اليراعة على الكرّ في اشواطها واصدرنا بقية اجزاء البيان يتعاهد بها

قرآءَهُ بعد ذلك الانقطاع لتكون آخر مظهرٍ لهُ يقف لهم فيهِ موقف الوداع فهو يفارقهم آسفاً على ما كان لهُ بينهم من منزلةٍ سنيّة شاكراً ما لقي فيهم من البشاشة والاريحيّة لا يسألهم الّا ان يشيعوهُ بجميل الذكر وان يرسلوا على ما رأوا من فرطاتهِ اذيال الستر وبودّهِ ان يكون فدآءً عن اياديهم البيضآء وان لا تعدم الآداب نفحات مكارمهم الفيحآء

وهذا صِنْوُهُ الضيآء نبرزهُ من بعدهِ متحلياً بآساله جارياً في طريقتهِ وناسجاً على منوالهِ نتابع العمل فيهِ على وجههِ من انتقآء المباحث العلمية والادبيّة والتنقيب عن الفوائد الصناعيّة والمكتشفات العصريّة مع ايراد فصولٍ صحية نعتمد فيها على اقلام بعض ثقات الاطبآء وزيادة اغراض اخرى مما يلائم ذوق عامة القرآء ومأمولنا في مواطنينا الكرام ان يتلقّوهُ بما تلقّوا بهِ سالفهُ من الارتياح والقبول ونسأل الله ان يوفقنا الى ما بهِ مرضاتهم ونفع الوطن بمنهِ تعالى وكرمهِ وهو اكرم مسؤول

الجرائد
في القطر المصري

من ورد الديار المصرية في هذه الايام ورأى ان في القاهرة وحدها ما ينيف على خمسين جريدة بين يومية واسبوعية وشهرية وغير ذلك ثم قابل بين حالها اليوم وما كانت عليهِ من زُهآء عشرين سنة حين لم يكن فيها الاّ جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية تبين المسافة التي جازها هذا القطر في هذه المدة اليسيرة وما حدث في نفوس اهلهِ من النهضة الادبية واقبال القرّآء منهم على المطالعة واقتباس الفوائد من خلال السطور وما نجم فيهِ واجتمع اليهِ من الكتّاب والمنشئين وانما يُجلَب الى كل سوقٍ ما ينفق فيها

لا جرَم ان هذا من سريع الانتقال الذي قلّ ان تجد لهُ نظيراً في تواريخ الامم مما يدلّك على وجود الاستعداد الفطريّ في الامّة تنزع بهِ الى قديمها وان عنصر تلك النفوس النبيلة والاذهان النيرة ما زال متسلسلاً في دمآء الخَلَف كامناً في طبائعهم متأهباً للظهور اذا صادف ما ينبههُ كالنار تظهر عند الاقتداح . بيد انك اذا تفقدت تلك الجرائد وجدت اكثرها بعيدًا عن المنزع الذي تقتضيهِ حالة القطر غير متلقٍّ تلك النهضة بما يرفع الامة من كبوتها ويقتادها في الوِجهة التي هي طريق سعادتها وفلاحها لان اكثرها على تعدّد نزعاتها واختلاف مذاهبها لا خطة لها الاّ احاديث السياسة ومزاعم اربابها تتلو على القرّآء في هذا القطر ما يُتحدّث بهِ في مجالس لندرا وبرلين وما يتخرص بهِ سياسيّو باريز وبطرسبرج وتقصّ عليهم تفاصيل

المواقع الحربية بين الصين واليابان وشروط الصلح بين اسبانيا والولايات المتحدة الى غير ذلك مما لا يهمّ المصريّ في حالتهِ الحاضرة الوقوف على شيءٍ منهُ ولا هو في شيءٍ من حاجاتهِ ومصالحهِ فضلاً عن ان هذه المباحث انما هي من غايات المدنية لا من مبادئها وانما تتلقاها الامّه بعد ان تستوفي قسطها من ضروريات العلم وتستعدّ لفهم ما يُلقى اليها من ذلك بعد معرفة المقدمات التي تفيد تصوّرهُ . ويا ليت شعري ما الذي يقع في ذهن العامّي من مكاشفتهِ باسرار الممالك وسياسات الدول وافكار الوزرآء والقوّاد وهو لم يسمع من امر تلك الممالك الاّ باسمآئها ولم يقف على شيءٍ من تواريخها وسائر احوالها وكيف يستطيع ان يتمثل وقائع حربٍ بين امتين وهو لا يعلم موقع بلادهما من الارض واذا سردت عليهِ اسماء بعض الاماكن التي حدثت فيها تلك الوقائع لم يعلم في ايّ البلادين هي وهل هي اسماء ثغور ام جزر ام سفن ام قوّاد

ثم على تسليم ان ذلك كلهُ سائغٌ وان المقصود بهِ الفئة المتنورة من الامة وهي اقلّ من القليل فما الداعي الى وجود عشراتٍ من الجرائد تكرر الخبر الواحد مع وحدة المشتركين في اكثرها على ما هو معلوم وايّ منفرٍ للذوق وداعٍ لكساد الصحف وسقوط الرغبة في مطالعتها اعظم من ان يرى المطالع الخبر الواحد في جريدتين او ثلاث او خمس وكثيرًا ما يكون ذلك الخبر بالعبارة الواحدة لانهُ في جميعهنّ معرَّب عن جرائد الاجانب حتى ما يتعلق بسياسة القطر نفسهِ . . ولا نقول ذلك على جهة التنديد بجرائدنا ولا كتّابنا ملومون فيهِ لما هو معلوم من بُعد مواقفهم عن المراكز

السياسية بل خروج البلاد بأسرها عن معترك اهل السياسة العامّة والخاصة والقضاء عليها بان تكون تبعاً لما يراد بها لا لما تريد . . بل في اوربا نفسها لا تجد من اقطاب السياسة في اصحاب الجرائد وغيرهم الاّ نفراً معدودين ممن ترشحوا لها ونشأوا على دراستها وانفقوا ايامهم في مخالطة اهلها والوقوف على ابواب مجالسها مع تلقُّن اسرارها من دهاقنتها واصحاب الحل والعقد فيها ولذا ترى كلمة الجريدة المعتبرة منها يرنّ صداها في مسامع كبرآء الارض واعاظم ملوكها ووزرآئها لعلمهم بانها صادرةٌ من مقامٍ هو ورآء مقام كاتبها واسمى منهُ كثيراً . فما الذي يبلغ اليهِ كتّابنا من مثل ذلك وما عسى ان يكون علم السياسيّ منا ورأيهُ وهذه اخبار النظارات وهي بين ظهرانيهم لا يكادون يتعلقون بالنبأ التافه منها الاّ استراقاً او استشفافاً من ورآء حجاب وهذه اخبار مواقع السودان وهي متصلةٌ بمصر وفيها جيش مصر واموالها تتناولها جرائدنا عن جرائد انكلترا او غيرها فلا تصلها الاّ بعد ان تقطع البر وتخوض البحر وتأتيها عن طريق هو ابعد من السودان بمراحل . فاذا كان هذا الشأن في السياسة الخاصة واخبار وقائع القطر وما جاورهُ وهي تهم كل فردٍ من افرادهِ فما الظن بسياسات الدول العظام والممالك القصيّة وايّ مجالٍ لنا فيما ينوي منها سياسيّو اوربا وما يقدّرونهُ من تصريفها في انحآء المعمور وما يخططونهُ منها للمستقبل وفي بعيد الاقطار

ثم اين نصيب العاميّ من تلك الجرائد وعليهِ اكثر رواجها وحزبهُ هو العدد الاكثر من مشتركيها وهل يكتفي منها بما تسردهُ بعد ذلك من خبر زفافٍ او نعيّ وما يقع في البلاد من قتل او سرقة وما يتوخاهُ

الكاتب او المكاتب من اطرآء بعض ذوي الشأن لغرض في النفس او الوشاية ببعض المستخدَمين حقًّا او زوراً او الاعلان بنقل حانوت فلان وضياع ختم فلان او ما أُولع بهِ بعض تلك الجرائد من نفث سموم التعصب والشقاق ٠٠ اين الكلام فيما ينمي ثروة البلاد والبحث فيما تُصلَح بهِ عناصر تربتها ويزكو ما فيها من زرع وضرع ومتى رأينا فيها حضاً على احيآء الصنائع او كلاماً في بعض فروعها او ترغيباً للمتمولين في انشاء المعامل والاستغنآء بها عن المصنوعات الاجنبية . ثم اين الفصول المطوَّلة في تهذيب اخلاق العامة واصلاح آدابها وعوائدها على كثرة ما فيها من المفاسد والموبقات والتنبيه على ما الفتهُ من سوء التربية الحسية والمعنوية مما فشت بهِ العاهات والآفات وتفاقمت الرذائل والمنكرات ومن تصدّى لتنوير اذهانها بما يكشف عن بصائرها ظلمات الاوهام والاضاليل وما رسخ في عقولها من الخرافات والاباطيل التي يتناولها الخلف عن السلف حتى صارت كالحيوان الاعجم او اضلّ سبيلاً

لكنك تجد كل ما هناك من الخلل في احوال الامة والفساد في اخلاقها وآدابها مسكوتاً عنهُ لا تكاد تذكرهُ الجرائد الاّ عند ما تلطخ وجوهها بشيءٍ من سيئات بعض الجهلة وما يجري على ايديهم من المنكرات والفظائع ثم لا تجري لهُ من بعدُ ذكراً ولا تتنبه لشيءٍ تُدخِلهُ على نفوس قرّآئها وتدعوهم للتنبّه اليهِ والتضافر عليهِ سوى ما اومأنا اليهِ قبلُ من الطامة التي سال سيلها في البلاد وامتدّت بها اعراق الشرّ والفساد ألا وهي ما أُولع بهِ بعض الصحف الحالية من دسّ روح الشقاق في صدور الامة

وايقاد نيران التعصب الديني الذي هو احدى آفات الشرق بل اعظم اسباب ما لحق بهِ من الدمار والاضمحلال ومنبع ما انبثق عليهِ من الشؤم والوبال كأن تلك الصحف لم تجد في كل ما ذكرناهُ من المفاسد المحيقة بالبلاد ما هو حقيقٌ بان تتداركهُ بالتعديل والاصلاح سوى هذه المصافاة بين القلوب ترميها بالمنافرة والشقاق وهذه الهوادة في الدين تبدلها بالتعصب والتحمس على ما بين القوم من التلازم والجوار وعلى ما ببعضهم من الجهل والتهوُّر وأنهم ليس عندهم من معرفة حدود الدين والائتمار باوامر العقل ما يقف بهم عند حدّ الرفق والاعتدال . وكانها لا ترى في كل ما ناب البلاد من التأخر والوهن والتهافت في دركات الخمول والهوان والانغماس في ردغات الذلّ والفقر مصرفاً لتلك الاقلام عن هذا السبيل الذي يزيد الامة على وهنها وهناً ويفتّ في اعضاد جامعتها ويوهن ركن اتحادها ويفصم عروة اجتماعها ويقذفها في هوّة الخراب . فدسّت هذه الآفة في صدور السواد الكبير من اهل هذه الديار على كونهم من سنواتٍ قلائل وبعبارةٍ اخرى من قبل انتشار تلك الجرائد بينهم كانوا غافلين عن هذه المفسدة لا يعرف احدهم الاّ ما يعالجهُ من تربة ويبذرهُ من زرع ويربيهِ من حيوان ويأوي اليهِ من مسكنٍ وعيال ويرى جارَهُ فلا يتوهم فيهِ الاّ الانس والمصافاة والتعاون على الدهر حتى جاءهم من حرَّك فيهم ذلك الساكن ثم لم يزل بهِ يوماً بعد يوم وشهراً اثر شهر حتى عصف إعصارهُ في القلوب وثار غبارهُ في العيون فاظلم بهِ الجوّ بين الرجل وجارهِ وتقارض القوم بينهم النظر الشزر واستحكم بينهم الشنآن على غير جناية ولا اثم واصبح لبعضهم عند البعض ثاراتٌ لا يعلمون

ما هي وان شعروا منها بحزازاتٍ لا تشفى وجراحٍ لا تبرأ

ومعلوم ان للجرائد اثبت تأثير في نفوس قرّآئها لانها الجليس الدائم والعشير الملازم يقرأها الرجل في ناديه ويأنس بها في خلوتهِ ويختلف اليها في اوقات فراغهِ ويتكرر عليهِ حديثها في كل يوم حتى تنطبع حروفها في مخيّلتهِ وترتسم الفاظها على اسلة لسانهِ فاذا تكلم نطق بما تتلو عليهِ واذا تناجت خواطرهُ لم يمرّ بها الاّ ما تلقن من اقوالها الى ان تنتقش خطتها في صفحة اعتقادهِ ويسترسل اليها برأيه وهواهُ ولا سيما اذا لم يسبق اليهِ من العلم ما يزاحم آراءها ولم يكن بين يديهِ ما ينصرف الى تلاوتهِ دونها بحيث تكون هي المورد الوحيد الذي تستمدّ منهُ بصيرتهُ فان ما يرد عليهِ منها يمتزج باجزاء نفسهِ ويرسخ فيهِ رسوخ طباعهِ حتى يصير من الضروريات التي لا تقبل الزوال ولا تعترضها الشبهات

وهذا الذي ذكرناهُ هو الغالب على اهل هذا القطر لما أنهم قومٌ غالبهم على الفطرة لم يقفوا على شيءٍ من احوال الامم وسياساتها وآدابها الاجتماعية فاذا وقع الى احدهم حديث احدى الجرائد كان ذلك اول ما يخرج اليهِ من المباحث المتداوَلة بين اهل طبقات المجتمع وخلوهِ من أداة الحكم في صحة ما يلقى اليهِ مع اعتقادهِ العلم والاخلاص في كاتب تلك الجريدة لا يتوقف عن الاسترسال الى ما يتلوهُ فيها من غير ان يتطرَّق اليهِ ادنى ريب وحينئذٍ فمن البديهي ان ما انطوت عليهِ تلك الجريدة ان كان خيراً ثبت ذلك الخير في طبائع قارئيها واقتبستهُ ملكاتهم وتمثلت صورتهُ في نفوسهم واخلاقهم وافعالهم فكانوا محلاً للخير وقدوةً لهُ بين مواطنيهم واهل طبقتهم

والاّ كانت هي الشرّ المحض والبلآء الفاشي تقذف بمريديها في مهاوي الشرّ وتقتادهم في شعاب الغيّ والضلال وكانت كالجرب في الامة يعدي بعضها بعضاً . فليراقب كتّابنا الله فيما يملون على الامة وليعلموا ان ما يخطونهُ في خلواتهم انما يجرون بهِ اقلامهم على صفحات قلوب تنطبع فيها كلماتهم بحروفٍ لا تمحى فليكن ما يطبعونهُ فيها للخير وليكونوا من هداة الامة الى الصلاح ليحسن اثرهم فيها ولا تلزمهم تبعتها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون

وزد على ذلك ما تراهُ في بعض صفحات الجرائد عندنا من المثالب الشخصية والوقوع في الاعراض والتطاول على الاحساب والخروج الى الشتم والبذاآء مما يفسد الاخلاق ويودي بالآداب ويهتك حجاب الحشمة ويجرئ الاغرار والسفهآء على مقامات كبرآء الناس وذوي الحرمات منهم ومعلومٌ ان الجرائد انما وُضعت لتكون خادمةً لمصلحة الجمهور لا لمآرب اصحابها وانما يشترك فيها المشترك لفائدةٍ يتناولها او ادبٍ يستمدّهُ لا ليتخذها نسخةً للمعايب والنقائص ولا ليكون مشايعاً لكاتبها في اهوآئهِ يجتذبهُ حيث شآء وشآءت اغراضهُ وانما ذلك بابٌ من ابواب التغرير والتدليس فضلاً عن كونهِ مضرًّا بالجرائد عامة صادًّا للقرّآء عن اقتباس ما فيها من الفوائد بما يبعث في نفوسهم من النفور عنها والاعراض عن مطالعتها فتبور بذلك المصلحة المقصودة منها وفضلاً عما فيهِ من اسقاط حرمة هذه الخطة الشريفة التي من اخص مزاياها ان تكون قيّمةً على الآداب العمومية ذائدةً عن الاحساب والاعراض كما انها قيّمةٌ على الاحكام ذائدةٌ عن المصالح والحقوق . بل لا جرم ان مثل هذه الصحف تُعدُّ لطخة عارٍ على الامة

باسرها لما لا يخفى من ان الجرائد عند كل قوم تُتخذ عنوانًا على منزلتهم من العلوم والآداب والاخلاق والعادات لانها المرآة التي تتجلى فيها صُوَر هذه المعاني كلها وتتمثل بها درجة الكاتب والقارئ جميعاً لان الكاتب انما يكتب على مكانة علمهِ وذوقهِ وانما يختار من المباحث ما يعلم انهُ يقع من قارئهِ موقعاً مقبولاً والاَّ سقطت جريدتهُ من نفسها فقُضي عليها بالاهمال

ولا نذكر هنا الجرائد التي نزعت عن هذه المناحي كلها الى ما لا يُعرَف لهُ منحًى من الخلط والهذيان والتكلم بالفاظ السكارى والحشاشين مما لم يسبق لهُ ضريبٌ في شيءٍ من بلاد الله ولا سُمع ان مثل ذلك الكلام مما يُكتب ويُطبَع ويُنشر وتباع الالوف منهُ في كل اسبوع الاَّ في هذه البلاد بلاد الغرائب الاَّ انها على كل حال اقلّ شرًّا من بعض الجرائد التي مرّت الاشارة اليها وان كانت خالية من المنافع

والحاصل أن الجرائد بما هي عليهِ من كثرة الانتشار والتداول بين ايدي القرّآء وتواصل ظهورها على الايام تُعَدُّ من اعظم العوامل واثبتها اثراً في اخلاق المجتمع وعوائدهِ ومعارفهِ وعقائدهِ وطبقات مداركهِ حتى في لغتهِ ووجوه التعبير عندهُ لانها بتكررها على الذهن واللسان ترسخ عبارتها في ملكة قارئها كما ترسخ خطتها المعنوية في معتقدهِ حتى انهُ اذا رام الكتابة نزع بها الى اسلوب الجريدة التي الف مطالعتها وربما قلّدها عن غير قصد . بل قد رأينا اصحاب الجرائد انفسهم لكثرة ما يطالع بعضهم جرائد بعض قد تعاوروا انفاسهم بينهم وقلد بعضهم بعضاً حتى في اللحن والخطآء بحيث لا تكاد تجد كلمةً محدثة او تركيباً جديداً في واحدة من تلك الجرائد الاّ

تجدهُ بعد ايام قد انتشر في سائرها وأُلحق بتعابيرها الخاصّة مما اصبحت فيهِ تلك الجرائد في كثير من الفاظها واصطلاحاتها لغةً بحالها وانتشر كثيرٌ من الفاظها على ألسنة العامة فيما يخوضون فيهِ من مباحثها . وهذا ولا ريب من جملة الآفات التي ينبغي تلافيها لعموم البلوى بها وسنذكر من ذلك الشيء بعد الشيء فيما يأتي من اجزاء هذه المجلة ان شاء الله

على اننا لا نعمم القول في شيء مما ذكرناهُ في هذه المقالة فان بين كتاب جرائدنا من الافاضل ورجال العلم والاخلاص من يرتفع بهم قدر الصحف ويحق الانتفاع بسطورهم لولا ان فيهم قوماً من المتطفلين على مقامها العائثين في الامة بفساد آدابهم وزيغ خطتهم ممن كدروا مشربها واسقطوا منزلتها وكانوا عقبةً في طريق نفوذها وعلوّ كلمتها . ولقد سرّنا وايم الله ما انتشر في جرائد هذه الايام من ان الحكومة عندنا تنوي سنّ قانون للمطبوعات يتناول الجرائد على الخصوص ويقيّد اقلام العابثين بشرفها وآداب الامة ولا ريب ان التقييد في مثل هذا المقام خيرٌ من الحريّة فعسى ان تمحض بعد ذلك للخير وتعتصب على ما يرفع شأنها بين القرّاء وفي عيون الحكومة نفسها فلا تكون مهملةً كما هي ليومنا الحاضر والله الهادي الى السبيل السواء

حمام الزاجل

ويقال حمام الزجّال ايضاً عن الفارسيّ وهو الحمام الذي يُرسَل على بعد وقد زجلتهُ وزجلت بهِ وجاء من مزجلٍ بعيد . ولا تقل الحمام الزاجل فانهُ

من اوهام المعاصرين لعدم تحققهم معنى الكلمة اذ يقال زجلتُ الحمام ولا يقال زجل الحمام فان اردت الوصف قلت المزجول على ان المشهور في استعمالهم ما ذكرناهُ قال الراجز يا ليتنا كنا حمامَيْ زاجل • ويسمى ايضاً بالحمام الهادي وهو من هدَى اللازم بمعنى اهتدى ذكرهُ صاحب اللسان وصاحب الاساس في (ز ج ل) ولم يذكراهُ في موضعهِ والعجب ان الدميري مع شدة توركهِ في البحث لم يتعرض لذكر حمام الزاجل الاّ من طرفٍ خفيّ حيث اشار الى الحاجة اليهِ في الحروب • وقد وقفنا في احدى المصنفات الاجنبية على فصلٍ لبعضهم يصف فيهِ تربية هذا الحمام وتعليمهُ فاحببنا تلخيصهُ فكاهةً للقرّآء ولعلهُ لا يخلو من فائدةٍ لطلاب هذا الشأن قال

اما كيفية تربية هذا الحمام فاول ما ينبغي صنعهُ ان يُقطَع الطعام بتةً عن الحمام المراد تأديبهُ واستخدامهُ في الرسائل حتى يأخذهُ حاقُّ الجوع وعلامتهُ ان ينتصب ريشهُ وتتقلص عنقهُ وحوصلتهُ وحينئذٍ يُنقل الى المكان المراد تعويدهُ الذهاب اليهِ بعد ان يُطرَح لهُ هناك حبٌّ كثير فاذا ملأَت الحمام حواصلها منهُ تُطرَد عنهُ حتى تعود الى مكانها الاول ثم يُعاد عليها ما فُعل اولاً فاذا أُطلقت ثانياً لم تخطئ الطريق حتى يصير قصد ذلك الموضع مألوفاً لها كلما دفعتها حاجة الجوع

وينبغي ان يكون الموضع الذي تُطعَم فيهِ غرفةً خالية لا قواطع فيها ولا مواقع (جمع موقعة بفتح القاف وكسرها وهي كل ما يقع عليهِ الطائر) ولا شيءٍ آخر مما يبعث عند الحمام الميل الى صنع عشّ فيها او اتخاذها موضع اقامة لان المعروف في طبيعة الحمام انهُ نَهِمٌ كسِلٌ غير ميالٍ الى

الخروج فاذا وجد فيها ما يوافقهُ وكان في طاقتهِ ان يتردد اليها ويأكل حاجتهُ كلما شآء هجر خليتهُ شيئاً فشيئاً فألِف الموضع الجديد ولذلك يجب طردهُ منها بعد الشبع طرداً عنيفاً ثم حبسهُ عنها الى ان يبلغ منهُ الجوع ويضطرّهُ الى الخروج من موضعهِ طلباً للطعام

واكثر ما يستعمَل حمام الزاجل في اوقات الحروب وآونة الحصار فتناط بهِ الرسائل من الموضع المحصور الى المكان الذي عوّد الذهاب اليهِ في الخارج ثم يعود الى حيث كان باجوبتها ولذلك لا بد ان يكون لكل موضع اريدت المراسلة اليه حمامٌ مخصوص يتردد بين الموضعين فيذهب الى احدهما طلباً للطعام ويعود الى الآخر طلباً للمبيت وهو يقطع من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ متر في الدقيقة

واول من استخدم الحمام في الرسائل العرب في القرن الثاني للهجرة وفيما نُقل عن تاريخ خليل الظاهري ان اول ما عُرِف استخدامها في مدينة الموصل ولبثت العادة بها جاريةً الى اواخر القرن الحادي عشر حين امرت الحكومة العثمانية بابطالها واما في غير البلاد التركية فاستعمالها شائعٌ في جميع الممالك واكثر ما يُعنى بها في البلجيك وهولندا وشمالي فرنسا وكثيراً ما يستخدمها السياح في الرِحَل القطبية وغيرها يستصحبها السائح معهُ فاذا عرض لهُ ابلاغ وطنهِ امراً او اتفق لهُ الوقوع في تهلكةٍ اطلق واحدةً منها برسالةٍ يضمّنها شرح ما اراد فلا تلبث ان تعود الى حيث خرج فتبلّغ الرسالة

الاعتقاد العام في عدم الاستحمام مدة عام

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

ما من امةٍ في هذا العالم الا ويتخلل عقولها خرافاتٌ واوهام تمسك بها تمسكاً اعمى ويتناقلها الخلف عن السلف حتى تصير بمنزلة عقائد راسخة الّا انها تتفاوت حسب تقدم كل امة في الحضارة والمدنية وترقي العقول في سلم العلم ولنكد الطالع اننا نرى في مصرنا هذه الخرافات متسلطة على عقول الشعب حتى ان منها ما يكون مجلبةً لدمار النوع الانساني في طور نضارتهِ ومنها ما يكون مجلبةً لفساد اخلاقه ومثل هذه الخرافات والاوهام بمقدار وافر ونخص بالذكر منها الآن اعظمها ضرراً واكثرها شيوعاً واشدها رسوخاً في اذهان السواد الاعظم من العامة وفريقٍ ليس بقليل من الخاصة الا وهو عدم مس الماء لابدان الاطفال مدة حولٍ كامل من تاريخ ولادتهم بدعوى ان ملامسة هذا السائل المطهّر لأبدان هؤلآء التعسآء اي استحمامهم ونظافتهم مما يُظهر عليهم مرض الزهري الوراثي عند اصابة احد الوالدين بهِ او اصابتهما جميعاً

لا جرَم ان هذا من فاسد الاعتقاد المتلف لبنية الافراد والذي هو عامل من العوامل المبيدة للنوع الانساني وليس لهُ اساس يبنى عليهِ ولا تعليل يوجَّه اليهِ ولا ندري ايّ طبيبٍ اشار بهذه النصيحة المشؤومة العائدة بالوبال على النوع ولا سيما في مثل هذه السنّ التي فيها لا يعي الانسان ولا يدري الضارّ من النافع فكثيراً ما كانت سبباً في تشويه الالوف من

الاطفال وتعطيل حواسهم وتسليط الامراض على ابدانهم السليمة بل كثيراً ما كانت من حبائل المنية واشراك الهلاك فذهب اولئك المساكين ضحايا لجهل والديهم يجنون عليهم وعلى انفسهم وهم لا يشعرون

وما نرى من وسيلة فعالة لاطراح هذه الاعتقادات المشحونة بها عقول الامة وتلافي هذه الاضرار الجسيمة افضل من تعميم التعليم والاكثار من المعلمين الاكفاء الذين يرشدون المتعلمين من النوعين الى المبادئ الصحيحة مما يهذب اخلاقهم ويثقف عقولهم حتى لا تقبل مثل هذه الاوهام ولا تعتقد الا بما ينطبق على العقل والعلم الصحيح وهذا لا يتم الا بالاكثار من المدارس الاهلية المتقنة اصول التعليم

وتفنيداً لهذه المزاعم الفاسدة نأتي هنا على ذكر الاضرار والامراض الناتجة من عدم استحمام الاطفال وترك الاعتناء بنظافتهم هذه المدة الطويلة ثم نعقبهُ بشرح مرض الزهري وعلاجهِ بطريقة وجيزة ثم طرق استحمام الاطفال ونظافتهم بما ينطبق على العقل والذوق السليم وحسب النصوص العلمية الصحيحة المتبعة في تربية الاطفال اذ لا يخفى ان تراكم الاوساخ والاقذار في الجسم لا يتحملهُ الشاب في عنفوان شبابهِ فكيف يتحملهُ اولئك الاطفال ذوو الجلد الناعم والبنية الرخصة وهم يتأثرون من اقل سبب كما ان اجسامهم تكون محطاً لرحال الادواء وملجأً صالحاً لمعيشة جراثيم الامراض الفتاكة فضلاً عن انشحان الجسم بالهوام

ولنبدأ بذكر الامراض الناتجة من تراكم الاوساخ والاقذار في الجسم فنقول

اولاً (امراض فروة الرأس) وهي امراض جلدية عديدة واهمها السعفات بانواعها التي هي اشد الامراض الجلدية قذارةً وأردأها تشويهاً واعسرها شفآءً واسرعها عدوى ومصابو هذا الدآء في مصر عدد ليس بقليل

ثانياً (الرمد على اختلاف انواعهِ) واكثرها انتشاراً الرمد الصديدي الذي يتلف العيون في مدة اربع وعشرين ساعة وهذا المرض من الامراض المعدية ويصاب بهِ في مصر عدد وافر وهؤلآء اذا لم يفقدوا ابصارهم بتةً فكثيراً ما تتشوّه عيونهم او بالاقل يتخلف لهم سحابات على القرنيتين

ثالثاً (امراض الاذن) وهي كثيرة الانتشار واكثرها حصولاً التهابات الاذن الظاهرة وتقيحها المستمرّ الموجب تهافت الحشرات على الاذنين وكثيراً ما ينتهي المرض بالازمان وتقرُّح غشآء الطبلة.وانثقابهِ ثم الصمم النهآئي والبكم الذي منهُ في مصر عدد ليس بقليل وكثيراً ما تنتهي امراض الاذن الالتهابية بالموت بتطرّق الالتهاب الى السحايا والمخّ

رابعاً (امراض الانف) واهمها الزكام الحادّ والمزمن وهو اشدّ الامراض خطراً على الانسان في طور الطفولية وكثيراً ما يصحبهُ بعد الازمان تقرحات انفية مزمنة وتنكرُز عظم الميكعة والقُرَينات الانفية ويورث نتانة الانف المستديمة اذا لم يمتدّ الالتهاب الى المصفاة ثم السحايا الدماغية ويعقبهُ الموت

خامساً (امراض المغابن اي المطاوي الجلدية) والمغابن المعرضة للامراض في سن الطفولية مغابن العنق والابطين والمغابن الفخذية والالية والمأبضية ومغابن اعضآء التناسل فان هذه المواضع متى تراكمت فيها الاوساخ

والاقذار وخصوصاً ملامسة البول والمواد البرازية مع عدم غسلها ونظافتها كان لتلك الاوساخ فيها تأثيرٌ كتأثير المواد المهيجة اقلهُ السحج وهو المعروف عند العامة بالتسميط ومما يساعد على هذا التهيج قذارة الملابس وخشونتها التي تحدث تسلخاتها وتنتهي بتكون قروح رديئة وكثيراً ما يمتدّ التهابها الى العقد اللنفاوية المجاورة . واضف على ذلك ما يعتري الاطفال من الهزال والسقم وانقلاب البنية الى الحالة الخنازيرية وتورم العقد اللنفاوية فضلاً عن نهش الحشرات التي تجد من عدم الاعتناء بيئةً موافقةً لمعيشتها . ومما يزيد الطين بلةً انهُ مع عدم الاعتناء السالف لا يتركون هؤلاء الاطفال بما اصابهم بل يذرّون على اجسامهم وخصوصاً مقابل هذه المغابن المتقرحة مسحوق الاسفيداج (كربونات الرصاص) وهو من السموم القوية متى وضع على هذه السطوح

وهنالك امراضٌ اخرى متنوعة لا نطيل بتعدادها ناشئة عن ترك الاعتناء بامر نظافة الاطفال التي ايسر ما فيها دمامة الجسم وتعرُّضهُ للاسقام بما يتراكم على سطح الجلد من الاوساخ التي تسدّ مسامهُ وتمنع تنفسهُ وابراز الموادّ السامَّة منهُ والابخرة المؤذية والفضلات الرديئة

واما الداء الزهري الذي هو الحجة التي يرتكن عليها في امر هذا الاهمال ويسمى في اصطلاح العامة بالمبارك وبالتشويش وبالتزفير فهو مرضٌ بنييّ جرثوميّ وراثيّ معدٍ وعدواهُ تكون بملامسة الجلد المعدي للجلد المعرَّى عن البشرة او الجلد الرقيق او الاغشية المخاطية كما انهُ معدٍ بالتلقيح بالصناعة ولثقل جرثومتهِ لا يحملها الهوآء ولذا فانهُ لا يعدي بالهوآء الجوّي

ولا بالتنفس ولا بالغازات التي تنتشر من الانسان ولا بملامسة الملابس للملابس الاّ اذا تلوّثت ولامست مباشرةً الجلد او الاغشية المخاطية المعرّاة كما قدّمنا ولا ينتج من الفزع او الرعب كما هو معتقد العامة وعلى العموم لا تكون عدواهُ الا بوصول اصلهِ المعدي الى الجلد او الاغشية المخاطية او بملامسة جسمٍ ما متحمل للجرثومة الزهرية لهذه الاغشية كما اسلفنا

واعراض هذا الدآء واطوارهُ يعلمها الاطبآء جيداً وتنحصر معالجتهُ في المركّبات الزئبقية واليودية وللاطبآء اساليب شتى في طرق معالجتهِ حسب اطوارهِ بما تقتضيهِ اصول صناعتهم كما ان عموم الاطبآء يضيفون على المعالجة الدوآئية الوسائط الصحية المهمة وذلك كالمداومة على الاستحمام وطهارة الجسم ونظافة الملبس والرياضة البدنية والغذآء الجيد واستعمال الادوية والمشروبات المقوّية والمعيشة في الهوآء النقي ولم يوصِ طبيبٌ قط مريضاً بعدم الاستحمام والنظافة

وهذا المرض من الامراض الوراثية اي يتوارثهُ الابنآء عند ما يكون احد الابوين مصاباً بهِ اوكلاهما ومعالجة المولودين من آبآءٍ مصابين بهذا الدآء لا تخرج عما قدمناهُ في معالجة المصابين بهِ بطرقٍ خصوصية يعلمها الاطبآء ولا دخل لتأثير المآء في ظهور الدآء عندهم بل ان الاستحمام والنظافة الدائمة والرياضة البدنية والتغذية المقوّية مما يساعد على شفآء هذا المرض ويلي ذلك طرق استحمام الاطفال ونظافتهم من تاريخ الولادة ثم الوسائط النافعة للوقاية من ظهور الدآء فيهم والله الواقي

مطارحات

بعث الينا احد فضلآء القطر بما يأتي

قرأت للشاعر الفرنساوي لامارتين بعض ابيات بديعة يصف بها غروب الشمس وطلوع القمر فرأيت ان ابعث بها اليكم لعلكم تستحسنون ان تقترحوا على قرّآء مجلتكم الغرّآء ترجمتها نظماً لانهُ يجدر بلغتنا العربية ان تحوي مثل هذه المعاني والتصورات البديعة منظومة في قالب شعري ٠ اه

ونحن نورد تعريب الابيات المشار اليها لكن ببعض تصرفٍ بحيث قرّبناها ما امكن من الاسلوب العربي مع المحافظة على اصل اغراض الشاعر ونوع تخيلهِ وهذه صورة التعريب

« لقد همّ ملك النهار بالاضّجاع في سرير مجدهِ فنزل عن مركبة جلالهِ بالتؤَدة والوقار حتى اذا وارتهُ كِلّة الغمام عن العيون برزت اطرافها فوق مضجعهِ مشرقة الاهاب مذهبة الاهداب تتلألأ في افق السمآء فتبعث اشعتها الارجوانية الى اطراف الفضآء كانها مصباحٌ من الذهب قد عُلّق في قبةٍ من اللازورد ٠ وبرز القمر فاستقلّ فوق شفا المنظور كأن خط الأُفق حبلٌ قد تعلق بهِ مترجحاً وبث اشعتهُ الضعيفة فتوسدت فوق المروج ونشر الظلام سجوفهُ على سفوح الجبال وجوانب الاودية فالتى ذلك المنظر في فؤاد الطبيعة ما حرّكها لان تتجه الى خالق النهار والليل وترفع اليهِ بلسانها النوراني تسبيح الخلائق » ٠ اه

وقد جعلنا جائزة افضل منظومةٍ ترد علينا ان ننقش صورة الناظم

ونصدّر بها ما ينظمهُ عند نشرهِ في الضياء والموعد في قبول المنظومات الى منتصف شهر اكتوبر القادم

اسئلة واجوبتها

ميت يزيد ـ تستعمل اليوم في نظارات الحكومة والمصالح الاميرية كلمة « شَطْب » بمعنى صحيفة وقد بحثت عنها كثيراً بقصد الوقوف على اصلها وكيف استُعملت لهذا المعنى فلم اجد في جميع النظارات والمصالح من يفيدني عنها ولا عثرت عليها في شيءٍ من كتب اللغة التي بين ايدينا فنرجوكم ان تفيدونا عنها ولكم الفضل احمد حمدي

الجواب ـ الكلمة ولا شك عامية واما مأخذها فقد علمتم ان ليس في مادّتها ما يدلّ على شيءٍ من هذا المعنى سوى انهُ جاء في كلام المولدين شطبهُ بالسيف اذا شقّ الجلد شقّاً مستطيلاً ويقال لذلك الشقّ شطبةٌ بالفتح وقد وردت هذه اللفظة في كلام الخفاجيّ في ريحانة الالبّاء وجاء في تراجم ابن خلكان ذكر عماد الدين ابن المشطوب قال سُمي المشطوب بذلك لشطبةٍ كانت بوجههِ . اه . واصل هذا الاستعمال من قولهم شطب السنام والاديم اذا شقهُ طولاً وهو ظاهر ثم قيل من شطبهُ بالسيف شطب الكاتب على الكلمة اذا كانت غلطاً فضرب عليها خطّاً بالقلم اشارةً الى ابطالها وقد اجتمع المعنيان من طريق التورية في شعر لابن حجة الحموي في غلام قد شُطب وجههُ وهو قولهُ

بالصدغ ابدى شطبة　　من　شكلهُ　محوَّطُ
سألتهُ عن امرها　　فقـال　زاد　اللغطُ
قلتم بدا لي عارضٌ　　مشكلٌ　منقطُ
جئتُ شطبتُ فوقهُ　　وقلتُ　هـذا　غلطُ

وفي استعمال التجار ليومنـا هذا يقولون شطّب الحساب اذا نقلهُ من دفتر الى دفتر فشطب على القديم اي وضع عليهِ علامة تشير الى انهُ لا يُعمل بهِ فلا يبعد ان يكون مأخذ الشطب بالمعنى الذي ذكرتموهُ من هنـا كانهم سمّوا كل صحيفة قد شُطبت « شطباً » تسمية بالمصدر ثم نُقل الى مطلق الصحيفة كما وُضع الطرس للصحيفة المكتوبة او التي قد محيت كتابتها ثم أُطلق في كل صحيفة . هذا اقرب ما يظهر لنا في اصل هذه الكلمة والله اعلم

مبرّة عامية

من اشرف ما دُوّن في سجلّ المحامد والمفاخر　وانفس ما طُرّزت بهِ حلّة الاحساب من جميل المآثر　ما تبرعت بهِ اريحية اولي المجد والفخار وعُصارة الكرم الصميم والحسب النُضار　انجال الطيّب الذكر المغفور لهُ سليمان باشـا اباظه الشهير　من اهدآء ما خلّفهُ من ذخائر الكتب الثمينة الى خزانة الجامع الازهر المنير　حتى تكون تلك الكتب وقفاً على الطالبين والمستفيدين من جميع الاقطار　ومستدرّا الرحمات على روح جامعهـا لا ينقطع مددهُ على تراخي الاعصار .　وهي مكتبةٌ عزيزة المنال　نادرة المثال قد جمعت من نفائس الكتب اقدمها عهداً واجلّها فائدة واجملها خطّاً واغلاها

قيمةً وحسبك ان فيهـا ما يزيد على الف مجلد من الاسفار المكتوبة بخط اليد و بينها خط ابن مقلة وابن هلال وغيرهما من مشاهير الخطّاطين السالفين وفيها ما ينيف على مئة كتاب بخطوط مؤلفيهـا فضلاً عن الكتب المطبوعة في كل علم مما حرص رحمهُ الله على التماسهِ من كل مظنة والتقاطهِ من يد كل نُهزة . فلا جرم انها اكرم ذخيرةٍ تركها والدٌ لولد واثمن هديةٍ جُعلت في خزانة امةٍ او بلدٍ بل هي من الصالحات الباقيات التي يُغتنَم ثوابهـا ما بقي في الامة مستفيد وما سطعت انوار الازهر فعشا اليهِ كل قاصدٍ من كلّ فجّ بعيد رحم الله جامع شملها وجزى واقفيها خير الجزآء وجعلهم قدوةً في كل مأثرةٍ شريفة ومكرمةٍ غرّآء

احتفال وطني

في مساء العاشر من هذا الشهر الموافق لرأس السنة القبطية احتفلت جمعية التوفيق باقامة النيروز المؤذن بدخول السنة الجديدة فتوافد اليها الجمّ الغفير من اعيان القطر وخواصّ اهل العلم والادب وارباب المقامات والخطط والاقلام وغيرهم ممن كانوا يُعدّون بالآلاف وفي مقدمتهم حضرة صاحبي السعادة ذي الفقار باشا وماهر باشا محافظ العاصمة . ولما انتظم الحفل وقُضيت رسوم التهنئة من جانب رئيس الجمعية ألقت بعض الطالبات في مدرسة التوفيق محاوراتٍ وخطباً علمية وادبية مما نطق بفضل الجمعية المشار اليها وشهد لمدارسهـا بالنجاح . ثم وقف حضرة القانوني الفاضل الخطيب المفوّه اخنوخ افندي فانوس فالقى خطاباً نفيساً استمرّ مدة ساعة ونصف

عنوانهُ « كيف تستردّ مصر مجدها القديم » وصف فيهِ ما كانت عليهِ هذه البلاد في قديم عهدها من رفعة المجد ونخامة الشان واتساع الحضارة وما كان لها بين امم تلك العصور من العزّة والسطوة والتقدم على الممالك ثم ما بُني عليهِ ذلك المجد الباذخ من أُسُس الفضائل والآداب وما قام عليهِ من دعائم العلم الذي بلغت منهُ في التفنن والاستنباط مبلغها المشهور مما لا تزال آثارهُ في كل عصرٍ شاهدةً بما كان عليهِ اولئك السلف من الارتقاء في معارج المدنية والفلاح . ثم انتقل الى الزمن الحاضر فوصف الحالة التي آلت اليها هذه البلاد من الوهن والانحطاط والتهافت في دركات الذل والخمول بسبب ما غاصت فيهِ من ظلمات الجهالة وانها لا تخرج من هذه الاحوال وتتمكن من استرداد مجدها القديم الا بالرجوع الى ما كانت عليهِ من الاعتصام بحبل العلم واحياء ما طُمس من معالمهِ واختيار الطريقة المثلى في تلقين العلوم واعتماد ما يُتذرَّع بهِ منها الى تنوير عقول الامة وتربية ناشئيها على الطريقة التي يشبّون بها في حجر التمدن الصحيح مع انشاء مدارس للصناعة مما يتوقف عليهِ غنى البلاد وتوفير ثروتها . وتفرغ بعد ذلك للكلام في الجرائد وما لها من الاثر في اخلاق الامة وآدابها فافاض في هذا المعنى مليًّا وبيّن ما يؤخذ على الجرائد من وجوه التقصير بالقياس الى ما تتقاضاهُ منها الحالة الحاضرة وحضها على وجوب الاخلاص في الخدمة وتجريد القصد للمنفعة وادمان الحث على ابتغاء الفضائل فاجاد في ذلك كلهِ وافاد وخرج الحضور وهم يثنون على الخطيب وعلى رئيس الجمعية واعضائها ثناءً طيباً ويرجون لهذه الطائفة دوام الترقي في درجات الفلاح

فكاهات

رواية

النجاة بعد اليأس (١)

هي حادثةٌ واقعية كتبها عن نفسهِ واحدٌ من مفتشي الشِحنة (البوليس) بلندن يقال لهُ ادورد قال

اتصل بنا في احد الايام ان جمعيةً سرية قدمت الى لندن مؤلفة من سبعة اشخاص ممن عُرفوا بالاقدام على الكبائر وارتكاب فظائع الاعمال وان هذه الجمعية تقصد اغتيال الملكة لان غرضها اهلاك جميع الأُسر المالكة في اوربا . وكنت منذ تقلدت الخطة التي انا فيها قد اشتهرت بين رصفائي بالجراءة والحزم والقدرة على استطلاع كل خفيّ بما رُكب فيَّ من الميل الى اكتشاف المغيَّبات فكان زعيمي يكل الى عهدتي كل ما استعجم امرهُ من الحوادث المعضلة والنوازل المبهمة فيجد مني في كل مرةٍ ما يزيدهُ اعجاباً بي وثقةً بكفايتي . فلما انتهى اليهِ خبر هذه الجمعية استدعاني وقص عليَّ ما نُمي اليهِ من امرها وقال ان هؤلاء السبعة موجودون الآن في لندن وان لم يُعلم مقرّهم ولا اسمآؤهم ولست اجد من اثق اليهِ في الكشف عنهم سواك لما اعهد فيك من الذكآء وثقوب الفطنة واصالة الرأي فاحبّ منك ان تبذل ما استطعت من الجهد وما وسعك من الحيلة في البحث عن اولئك الاشرار والضرب على ايديهم قبل ان تفشو فتنتهم في البلاد و يتكاثر عديدهم بمن ينحاز اليهم من اهل الشر وانا مطلقٌ لك ان تصنع ما شئت وتتذرع بكل ذريعةٍ يفتح عليك بها ذكآؤك وفطنتك للظفر بهم بحيث لا يفوتك القبض عليهم واي مساعدةٍ لزمتك من قبلي فانها تُبذَل لك . قلت اني سابلغ محبتك ان شآء الله ولا ادع

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في طاقتي جهداً الاّ بذلتهُ ثم ودعتهُ وخرجت وقد وطنت نفسي على ان استأثر بهذه المهمة وحدي لا التمس فيها معاوناً ولا ظهيراً لعلمي بما يكون وراءها من سَنيّ الذكر والترقي في درجات الفخر

وكان في اثناء ذلك قد شاع قدوم دوكةٍ عظيمة الشأن الى لندن يقال انها من ذوات اليسار والغنى الطائل تنفق من سعةٍ وتتبسط في الترف والنعيم الى ما لا غاية وراءهُ وتبذل ما لا يحصى من الاموال في مقتنى المجلات والخيول الكريمة وفاخر الرياش والاثاث . فدفعني التطالّ وحبّ الاطلاع الى التنقيب عن امرها ومعرفة ماضيها واصلها وحسبها فلم اتوصل الى الوقوف على شيءٍ من ذلك لان المرأة منقطعةٌ بنفسها لا تزور ولا تزار ولا تعاشر احداً ولكن جلّ ما عرفتهُ من امرها انها تدعي الدوكة كاترينا كرمي . فكان وجودها بهذه الحال من التكتم والاستتار مما دعاني الى الريب وعزمت مع بحثي عن القضية الاولى ان اترصد حال هذه المرأة واتطلب الاسباب للوقوف على دخيلة امرها . فبينا انا سائرٌ ذات يوم في بعض اطراف المدينة وقد اخذ مني التعب والظمآء ملت الى حانةٍ في تلك الناحية لاستريح وطلبت شراباً انضح بهِ جوفي وفيما انا جالسٌ وقعت عيني على جريدةٍ بجانبي فتناولتها واخذت اتصفحها بقصد التشاغل واضاعة شيءٍ من الزمن فاستوقف نظري اعلانٌ رأيتهُ فيها وقد قرأت فيهِ ما صورتهُ « يُطلَب طبيبٌ حاذق لشأنٍ سرّيٍ مهمّ فمن احب من الاطباء الاجابة الى ذلك فليعرض اسمهُ وحيثيتهُ في رقعةٍ يبعث بها بعنوان ك . ك على يد صاحب هذه الجريدة »

فاخذت اقلّب النظر في كلمات هذا الاعلان لعلي استخرج منها شيئاً فلم اجد ما يدعو الى التيقظ سوى حرفي ك . ك لاني وجدتهما موافقين لاسم الدوكة ولما كان من خصائص رجال الشحنة ان لا يهملوا ادقّ الاشياء واقلها اهمية في بادي الرأي صممت على ان انتبع هذا الاعلان لعلي اتوصل بهِ الى شيءٍ من تلك الاسرار . فنهضت لساعتي وتوجهت الى محل تلك الجريدة وقدمت نفسي الى صاحبها بدعوى اني طبيب واني اتيت اجابةً لدعوة صاحب الاعلان فقال لو اتيت قبل خمس دقائق فقد سبقك طبيب آخر يسمى الدكتور وليم وقد توجه الى مكان الطلب من هنيهةٍ قصيرة . ولما كنت اعرف الدكتور وليم خرجت في الحال وانطلقت على اثرهِ في الطريق المؤدي الى منزل الدوكة وما زلت اتبعهُ عن بعد حتى رأيتهُ دخل المنزل فوقفت اترصد حتى

خرج فسمعت الدوكة تقول لهُ اذن انتظرك غداً الساعة التاسعة . فلما كان اليوم التالي توجهت في الموعد المذكور وكان بالقرب من المنزل فندقٌ فدخلتهُ وطلبت شراباً وجلست تجاه الباب اراقب الطريق وما كاد يستقرّ بي الجلوس حتى دخلت فتاة بديعة الخلق هيفآء القوام لم يقع نظري على اجمل منها فدنت مني وتناولت كرسيًّا وجلست بازآئي ثم التفتت اليَّ وحيَّتني وقالت ألست انت السيد ادورد قلت بلى فهل لكِ من حاجة قالت لي اليك كلامٌ لكن اسالك قبل ذلك ان لا تعاملني معاملة من تجهلهُ وان لم تسبق لك بي معرفة لكن خاطبني خطاب صديقةٍ لك واطلب لي اولاً كأساً من الشاي ففعلت وانا متعجبٌ من صنعها . ثم القت عليَّ نظراً حادًّا وقالت لا شك انك تستغرب مخاطبتي لك على غير معرفةٍ بيننا ولا سبق عهدٍ ولكنني منذ مدةٍ احاول ان يجمعني واياك موضعٌ لاطلعك على امرٍ ذي بال حتى رايتك في هذه الساعة داخلاً الى هذا الموضع فلم املك نفسي من السعي اليك لاكاشفك واحذّرك من امرٍ انت منهُ على شفا الهلكة ومهواة الخطر . قلت ولكن من انتِ وما الذي يهمكِ من امري . قالت انا كاتمة اسرار الدكتور وليم واسمي اميليا واما الذي يهمني من امرك فهو حرصي على سلامة حياتك ألست انت الساعي لتفسير غوامض الاعلان المنشور في الجريدة بتوقيع ك . ك . قلت هذا سؤَالٌ لا يسعني ان اجيبكِ عليهِ . قالت لئن لم تجبني بلفظك فقد قرأت الجواب في عينيك ووجهك وانا انصح لك ان تُقلع عن عزمك وتعفي نفسك من البحث في هذا الامر بل اتوسل اليك ان تبتعد عن هذا الخطر الذي تعرّض لهُ حياتك واناشدك باقدس الاسمآء واحبها اليك ان تنفيهُ من فكرك البتة وقد ابلغتك نصحي وانت بعد ذلك وما تختار

ثم صوّبت اليَّ نظرةً اخترقت فؤَادي وتوجهت الى الباب تاركةً اياي عرضةً للافكار والهواجس بين ان ادَع الامر وقد اوشكتُ ان اقف على دخيلتهِ او امضي على ما شرعت فيهِ ولا ابالي بقول فتاةٍ قد تكون الدوكة استأْجرتها لارهابي واحباط مسعاي .

واخيراً وطنت نفسي على متابعة البحث وفي مسآء ذلك اليوم توجهت الى منزل الدكتور وليم واستأْذنت في الدخول عليهِ فلما دخلت سأَلني عن حاجتي فقلت بلغني انك دُعيت لمعالجة الدوكة كاترينا كرمي فعنَّ لي ان اسأَلك عن مرضها ان جاز لي هذا السؤَال ثم ان اتعرّف منك ما تعلمهُ من احوالها ومعيشتها وسائر امرها . فقال اني لا ارى ما يضطرّني

الى ان ابوح باسرار مرضاي · قلت اني لا اغالطك في ذلك ولكني لا اكتمك اني احد مفتشي الشحنة وقد نمي الينا ان الدوكة هي من اعضاء الجمعية السرّية التي قد سمعتَ ولا بد بذكرها وقد تكون رئيستها وهذا هو السبب الذي يدعوني الى البحث عنها فهاتِ ما عندك من ذلك والاّ حسبتك الحكومة من اخصّآئها وواحداً من اعضاء الجمعية · فقال يقيناً ان هذا الامر لم يخطر ببالي قط واقسم لك بالشرف اني لم ارَ عندها ما يدعو الى الريب ولكني اعدك وعد حرٍ ان امالئك على هذا البحث سرًّا وابعث اليك بكل ما يتهيأ لي الوقوف عليهِ

فشكرتهُ على ذلك ثم قمت وانصرفت ولما بلغت الباب الخارجي شعرت بشيء أُلقي في يدي بدون ان ارى الفاعل واذا هو رقعةٌ مطوية ففتحتها فاذا فيها الكلام الآتي

سيّدي

قد نصحت لك قبلاً ان تحافظ على حياتك الثمينة فلم تعبأ بنصحي وبما انك قد سلمت الى الآن وقد بقيت لي هذه الفرصة اليسيرة لاكرر نصحي لك فاني اتوسل اليك مترامية على قدميك ان تسعى وراء الفخر من غير هذا الطريق المملوء بالخطر وقد تكون هذه آخر مرةٍ اتمكن فيها من تحذيرك فلتكن تذكرتي هذه بمنزلة آخر رجاء اتوقع استجابتهُ منك حرصاً على حياتك واكراماً لاحرص الناس عليها

اميليا

فلم يزدني ذلك الاّ تصميماً على الاقدام وقد تاكدت ان اميليا لم تكن الاّ آلة قد استخدِمت لتخويفي ولبثت على مراقبة الحال الى ان وردني كتاب من الدكتور وليم يقول فيهِ

عزيزي ادورد

قد استدعتني الدوكة الى مصيفها في بريتون ولعلي استطيع ان اقف على شيء هناك فان رايت حضورك موافقاً واحببت مرافقتي فموعدنا المحطة في قطار الساعة السابعة غير انهُ لا يحسن ان نجتمع في مكانٍ واحد فاركب انت في الدرجة الاولى وانا اركب في الثالثة واياك ان تدنو مني في الطريق

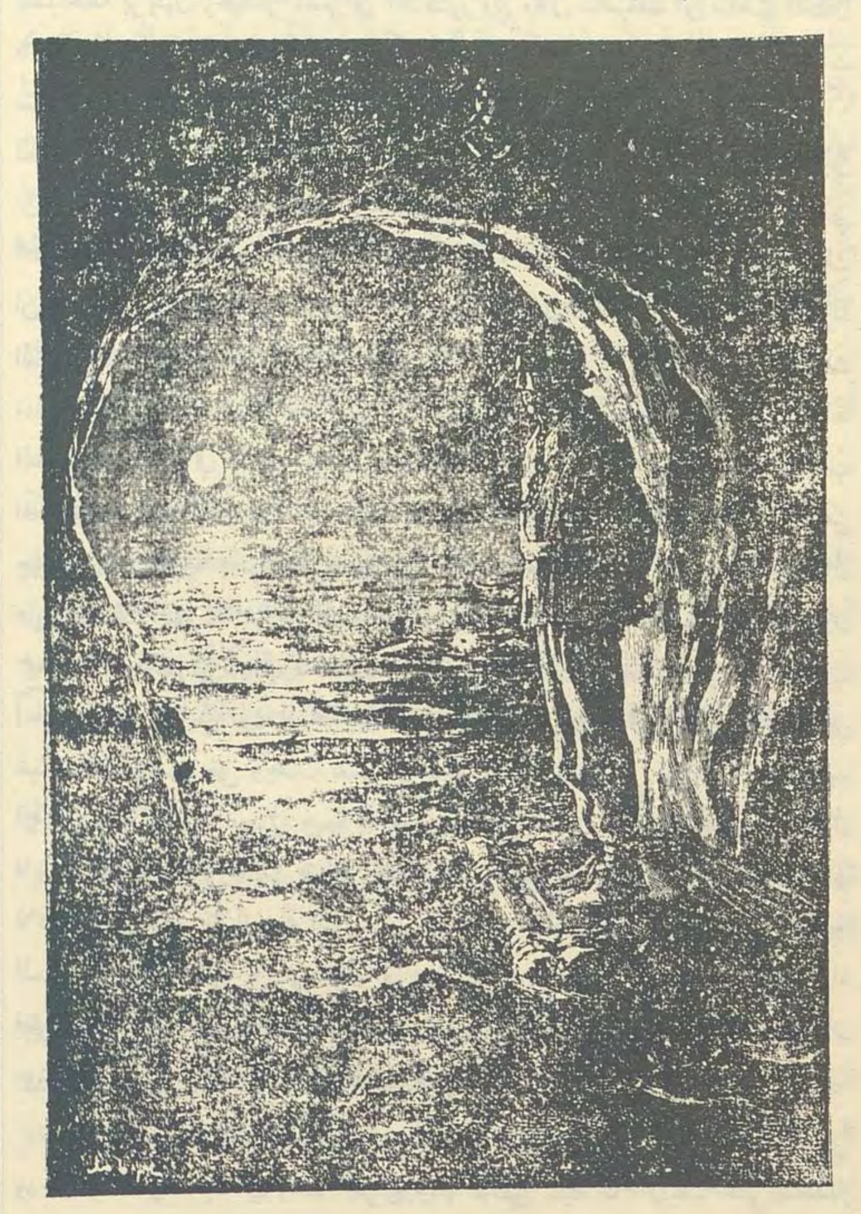
وليم

فما صدّقت ان حان الموعد حتى اسرعت الى المحطة وركبت القطار فانطلق بنا حتى

بلغنا محطة بريتون وحينئذٍ تقدَّم اليَّ الدكتور وليم وقال ساسبقك الى منتدى انكلترا فاتبعني اليهِ بعد ساعة وهناك ندع التنكر فنجتمع جهراً ونذهب حيث شئنا معاً . فلبثت بعد انصرافهِ انتظر ان تنقضي الساعة واخذت اتمشى رويدًا وكان الظلام دامساً والهوآء لطيفاً فلم اشعر الاَّ بخطوات حثيثة تجدُّ في اثري فالتفتُّ فاذا اميليا تسعى ورآئي وقبل ان افاتحها بكلام قالت حسبك يا ظالم لقد تبعتك تحت اشدّ الاخطار وعرَّضت نفسي للسخط والانتقام والطرد والحرمان لأتواقع عليك .. لأُقبّل قدميك .. لأَبتهل اليك ان ترجع من هنا شفقةً على حياتك . انهُ لم يبقَ الاَّ خطواتٌ قلائل بينك وبين الشرك الذي نُصب لاغتيالك وهذا آخر كلام تسمعهُ ممن هي اشدّ حرصاً على حياتك منك . وللحال سمعنا صوت خطواتٍ أُخر فانقطع الحديث وابتعدت اميليا عني فوارها الظلام وسرت انا في طريقي حتى بلغت المنتدى فاجتمعت بالدكتور واذهلني اضطراب افكاري في تلك الحال ان انتبه لما رأيت من تبدُّل سحنتهِ وتصبب العرق البارد من جبينهِ فنهضت واياهُ وسرنا وهو يقصّ عليَّ احاديث مختلفة واخباراً عجيبة ثم وقف وقال هل ترى ذلك النور الاحمر فحوّلت وجهي الى الجهة التي اشار اليها وباسرع من طرفة عين جمع قواهُ ورفسني في ظهري فسقطت الى الارض وسقط عليَّ يشدّ وُثقي مع اثنين آخرين كانا خُلقا في تلك الساعة هناك فربطوا يديَّ ورجليَّ وفمي وحملوني وانا لا اعي شيئاً فلما استيقظت حتى وجدت نفسي في غرفةٍ رهيبة ذات نورٍ ضعيف قد بُثت فيها الجماجم وعظام الموتى وحولي سبعة اشخاص متسترين عرفت رئيستهم الدوكة في الحال فايقنت اني هالكٌ لا محالة . فقالت الدوكة يجب سحق راس الحية حال امساكها فهلمَّ لانفاذ الحكم هذه الليلة . ثم التفتت الى الدكتور وقالت لكن خادمتك اميليا ما السبب في القبض عليها يا اخي فقال اني وجدتها متغيرةً في هذين اليومين وقد زاد قلقي حين رأَيتها تتبعنا الى هنا وخشيت ان يكون لها دخلٌ مع هذا اللئيم فرايت ان موتها يكون آمن لنا . قالت حسناً فعلت فهلموا بنا

ثم حملونا الى الشاطىء وركبوا زورقاً فنقلونا الى مقابل ناحية مقفرة من الشاطىء ودخلوا بنا مغارةً مخيفة في وسط البحر واسفلها غائصٌ في المآء فربطوا عنقي بسلسلةٍ وعلقوها في اعلى المغارة ثم ربطوا يديَّ ورجليَّ واقاموني على اجذالٍ من الحطب قد رصفوها وشدُّوا بعضها الى بعض بالحبال والقوها على سطح المآء فلبثت واقفاً على ذلك

الطوف كأني صنم · ثم قالت الدوكة دعوهُ الآن فاذا ابتدأ الجزر وانخفضت المياه



هبط الطوف من تحت رجليهِ وبقي هذا اللعين معلقاً حتى يذوق اجلهُ وخذوا تلك الخبيثة في ذلك القارب واثقبوهُ من اسفلهِ ثقباً دقيقاً حتى تدخل اليها المياه شيئاً

فشيئاً فلا تغرق الأَّ بعد ان ترى الموت بعينيها مراراً . ففعلوا كما امرتهم وانصرفوا وتركوا كل واحدٍ منا ينتظر منيته

ومضت عليَّ بعد ذلك ساعتان وانا في اشد الاضطرابات النفسانية اری الموت يدنو مني لحظةً فلحظةً وانا لا استطيع له دفعاً ولا تأخيراً ولما بزغ نور الفجر رأيت على مسافةٍ مني قارباً ترفعه الامواج وتخفضه فعلمت ان فيهِ تلك المسكينة التي لم اعرف صدقها واتيقن اخلاص حبها الأَّ في ذلك الحين فتمنيت الخلاص لانقاذها مكافأةً على ما رايت منها من طيب السريرة وطهارة الطوية . وشعرت بانقضآء المدّ وابتدآء الجزر وانخفاض المياه فطار رشدي وعلمت اني ان لم اعجل باستنباط حيلة ادفع بها خطر الاختناق تعذَّر عليَّ ذلك بعد بضع دقائق . وكانت الامواج ترفع طوفي على علو مترٍ ثم تهبطه بمقدار ذلك فاجتهدت اولاً في تخليص يديَّ وجعلت عند ارتفاع الطوف انحني بقدر استطاعتي الى ان امكنني بعد الجهد ان انقلها من ورآء ظهري الى الامام بان ادخلتها من تحت رجليَّ . وكانت سرعة هبوط الجزر تضاعف اجتهادي حذراً من فوات الفرصة فحللت طرف منطقتي الجلدية وانتظرت الى ان رفعتني الامواج فادخلت ذلك الطرف تحت حبال الطوف ثم جذبته من الناحية الاخرى وشددته بالسلسلة المربوط بها عنقي حتى انه متى تم الجزر وهبطت المياه يبقى لي ما اقف عليهِ وآمن الاختناق لكنني ما فرغت من ذلك حتى نالني من شدة الجهد والاعيآء مع ما انا فيهِ من ضغط الدماغ ما غيَّبني عن الادراك فلم افق الاَّ وقد حملني الطوف الى مكانٍ بعيد عن الشاطئ . وذلك انه لما هبط المآء من تحت الطوف وبقي معلقاً بالسلسلة انحلت احدى عراها من ثقلهِ فسقط بي على وجه المآء وقذفتني الامواج حتى صرت حيث وجدت نفسي فحمدت الله تعالى على نجاتي ثم قضمت تلك الوُثق باسناني وجذفت برجليَّ الى جهة البرّ وكان هنالك جماعة من الصيادين فابتدروا اليَّ واخرجوني الى البرّ . ولما سكن روعي اعلمتهم بمكاني وطلبت منهم قارباً لخلاص اميليا فجآءُوني بهِ واندفعنا نمخر البحر حتى ادركناها على آخر رمق وقد كاد الزروق يغوص بها في اعماق البحر فانقذتها ورجعنا الى البرّ وقصدنا اقرب فندقٍ في تلك الناحية فاصلحنا من شؤوننا وحمدنا الله عوداً على بدءٍ لما منَّ بهِ علينا من الخلاص والعود الى الحياة بعد ما دخلنا في لهوات الموت وابصرناه عياناً . ولما سكن روعنا من تلك الدهشة وثاب الينا رشدنا جلسنا

نتحدث وقد اخذ مني جمال اميليا ولطف حديثها وكمال ادبها فوق ما اخذ مني ما علمت من رقة فؤادها واخلاص سريرتها ووُجد عندي من الميل اليها والشغف بها ما لم اشعر بهِ قط في حب انثى . الاَّ انني كنت لم ازل متعجباً مما رايت من انعطافها اليَّ بذلك الحنو الغريب على غير عهدٍ لاحدنا بالآخر ولم يسعني الاَّ ان اعدت عليها ذلك لاتحقق ما يكنهُ ضميرها فذكرت لي انها لم تفعل ما فعلتهُ عن حبٍ سابق ولا سلف لها عهدٌ بي ولكن لما كان لها اتصالٌ بتلك الجمعية وكانت مطلعةً على ما يجري فيها علمت انها تنوي اهلاكي . وذلك ان للجمعية جواسيس يطوفون في كلٍ موضع ينهون اليها كل ما يرونهُ ويسمعونهُ فلما خرجت من عند صاحب الجريدة التي نُشر فيها اعلان الدوكة بصر بي احد اولئك الجواسيس فدخل على اثرِ خروجي وتلطف في استخبار صاحب الجريدة عني فاعلمهُ اني طبيب واني اتيت تلبيةً لطلب الدوكة . فعلم من ثم ان ذلك تمويهٌ مني اقصد منهُ الوصول الى اكتشاف سرّ الجمعية فانهى اليها ما علمهُ وحذَّرها مني ثم اتفق ما كان مني من المصير الى الدكتور وليم وتصريحي لهُ بالامر فجزموا بوجوب المبادرة الى قتلي . فلما شعرت اميليا بذلك اخذها من الشفقة عليَّ ما حملها على ان خاطرت بنفسها هذه المخاطرة الجسيمة في انقاذي من حبائلهم ضناً بحياة رجل بريء يذهب فريسةً لاولئك الضواري . فعظم امرها في عينيَّ لهذه العواطف الشريفة وكان ذلك ادعى الى اشتداد ميلي اليها وتعلقي بها مما لو كان منها عن شغفٍ بهواي وتهالكٍ في حبي ولم اعلم كيف اعتذر اليها عما مضى او بمَ اكافئها على ما بذلت لي من النصح والاخلاص وما تعرَّضت لهُ من الاخطار في سبيل انقاذي فلم أرَ الاَّ ان اجعلها شريكة حياتي حتى تكون كلها في يديها . وهي الآن زوجتي الامينة وامّ ولدي اتذكر واياها ما مرّ بنا من الاهوال وما منّ الله بهِ علينا من النجاة

واما ما كان من امر اولئك الطغاة فاني بعد ان نجوت من مخالبهم عدت الى البحث عن محل اجتماعهم وقد استعنت بما عرفتهُ اميليا من اسرارهم وعلائقهم حتى ظفرت بهم فقبضت عليهم جميعاً وسقتهم الى موضع النكال ليذوقوا شر ما قدمت ايديهم